

تاريخ الطباعة العراقية

Histoire de la Presse en Mésopotamie.

مطابع العراق وثمراتها

(من سنة ١٨٥٦ الى سنة ١٩٢٦)

— ١ —

١ — تمهيد

اختراع الطباعة [١]

من العجائب في الحضارة الحالية ان يتسع نطاق العلم، وتنتشر المعارف في القرون الواغلة في القدم يوم لم يكن لدى البشر قرطاس يسطرون عليه خواطرهم، ولا ملكة ايمانهم رقوقا يدونون على صفحاتها معارفهم.

ان تخطينا القرون الاولى الى القرون الوسطى، حينما اشرق للحضارة شمس منيرة، ولا سيما في هذا الربوع المباركة، حيث ارتفع

والكفر والكفار، والكلمة لهذا الستر الرقيق، والكلام وان قالوا في الكلمة جملة بالجميم الفارسية. والكنز والكنوز. والمكنسة. والكون، بمعنى الحرب والفتنة. والكيف بمعنى المسرة واذا استعملوا اسم استفهام قالوا جيف (بالجميم الفارسية).

واعلم ان جميع ما ذكرناه في هذا الباب من الافعال والاسماء انما اوردها على طريق المثال وما اكثرنا من ذكرها وتعدادها إلا لمزيد الايضاح لان الكثرة العامة في حرفي القاف والكاف لا تقع تحت ضابط يضبطها وانما العمدة في معرفة مواقعها على السماع.

معروف الرصافي

[١] راجع في هذا الموضوع عنه ما جاء في مجلتي هذه ٢-٢٢٣ الى ٢٣١ و٣٠٣ الى ٣٠٩

منار التمدن العربي ؛ وجدنا تلك الحضارة العباسية على ضخامتها وبما فيها من معاهد العلم الزاهرة ودور الفنون والصناعات وخزائن الكتب والاسفار ، تستعين باقلام الخطاطين في رقم التأليف والدواوين . ومع ان صناعة الخط قد ارتقت ارتقاء عظيمًا . فلم يكن في طاقة الخطاطين ان يسدوا حاجة الدارسين من الكتب والرسائل ؛ لذلك كانت العلوم والاداب مقصورة على طبقات من رجال الدين والحكام ومن بأيديهم زمام الرئاسة وما يتبع الرئاسة من الثراء . ولكن ابت همة المرء - وهو يتوقل من اتي الحضارة - ان تظل معرفته محصورة في نطاق ضيق ومقصورة على جماعة من ابناءه دون جماعة . ويحتكرها قوم دون آخرين : ففتقت الحاجة قريحة عبقرى نادر . توصل بشاغب فكرة الى اختراع آلة الطبع واعانه رفيق فاستنبط صنع الحروف . وهكذا ولدت الطباعة بالحروف في او اسط العقد الثالث من القرن الخامس عشر .

طيب الله ثرى يوحنا غوتنبرغ الالماني (المولود سنة ١٤٠٠م) الذي اخترع آلة الطبع عام ١٤٣٦ م ورضي الرحمن عن بطرس فوشر مخترع الحروف من الخشب فالرصاص ؛ وفي سنة ١٤٥٠ انشأ غوتنبرغ اول مطبعة في المعمورة ، واول كتاب طبع فيها التوراة باللغة اللاتينية .

هذا تاريخ الطباعة بالحروف، اما المطابع الحجرية فقد ابتدعها في صدر القرن الثامن عشر رجل بفاري اسمه لويس سنفلدر الذي اجازته الحكومة عام ١٧٩٩م بالاستثمار باختراعه في الطبع والكسب .

٢ - الطباعة في الشرق

عمت الطباعة بالحروف انحاء اوربة، ولم يفت الشرق نصيب من فيض هذا الاختراع، فما اشتهر الطبع بالحروف المنتقلة حتى اصطنع منها قوالب للغات الشرقية .

فسعى قداسة البابا يوليوس الثاني لانشاء مطبعة في عاصمة الكشلكة طبع فيها اول كتاب كان للصلوات سنة ١٥١٤ وفي جنوة بايطالية طبع الزبور سنة ١٥١٦م بالعربية والعبرانية والكلدانية واليونانية، وماعتمدت ان انتشرت المطابع للغات الشرقية في اطراف العالم الغربي في البندقية وسويسرة وفرنسة والمانية .

وبعد حين انتقلت الطباعة الى المشرق . فاسس عالم اسرائيلي سنة ١٤٩٠م مطبعة في القسطنطينية للغة العبرية اولا ، وفيها طبعت التوراة باللغة العربية سنة ١٥٥١م عبرية بقلم سعيد الفيومي .

ومن فروق دخلت الطباعة الى البلاد العربية وكان للشام فضل سبق في الاخذ بهذه الاداة النافعة فأنشأ الرهبان اللنانيون في اوائل القرن السابع عشر مطبعة في دير قزحيا ببلدان واول كتاب عربي

طبعتها هو الزبور وذلك في عام ١٤٨٥ و كانت حروفها سر يانية ومنطوقها عربيا وهو ما يعرف عندهم بالكرشوني ثم استعملت الحروف العربية .

وفي حلب ظهرت المطبوعات بالحرف العربي باديء ذي بدء: مما اصطنعه احد اساقفة الروم الملكيين في اوائل القرن الثامن عشر . ودخلت الطباعة القدس في فلسطين على يد الالباء الفرنسيين بانشائهم سنة ١٨٤٦ م « مطبعة الارض المقدسة » .

امامصر فأول مطبعة قامت اركانها فيها سنة ١٧٩٨م كانت على يد نابوليون بوناپرت في حملته الشهيرة على ارض الفراعنة .

٣ - الطباعة في العراق

ولم يحرم العراق الاستفادة من اختراع الطبع الثمين وان جاءت استفادته متاخرا . الا ان مايلفت الانظار هو ان الطباعة دخلت العراق على يد الاجانب ايضا : نظير معظم البلاد الشرقية مما يؤصل في الازدهان اثنا مدينون للغربيين في حياتنا الجديدة . فأول مطبعة فتحت في العراق كان بفضل مبعث الالباء المنتمين الى القديس عبد الاحد المعروفين (بالدومنيكيين) في الموصل سنة ١٨٥٦م: وفي هذه السنة عينها جلب الى كربلاء احد اكابر الفرس مطبعة حجرية لا يذكر الناس من نتاجها إلا سفرا بقي بكرة وحيدا .

وهانحن اولاً. ثبت ما عنيما بتدوينه من تاريخ موجز للطباعة العراقية تأتي فيه على ملخص تاريخ المطابع المؤسسة في ديار العراق ونذكر ما وصل الى علمنا من ثمرات تلك المطابع من الكتب والرسائل على اختلافها : ولا ندعي العصمة في ما نكتب : الا ان غايتنا الخالصة هي اظهار صفحة من حضارة العراق الحديثة تشفع لنا في الاوهام التي تبدو مناسهوا؛ ويسرنا ان يحظى عملنا بالقبول من لدن الادباء المحققين ؛ فينتقدوا لنا مقالاتنا هذه ويرشدونا الى مواضع الخطأ فيها ويكملوا النواقص التي يفوتنا ذكرها فنشكر لهم فضلهم بعد ان يكونوا قد ادوا لامانة العلم حقها المحتوم .

٤ - مطابع الموصل

١ - « مطبعة الاءاء الدومنيكين »

الى الاءاء المحترمين المتتمين الى رهبانية القديس عبد الاحد (سن دومنك) يعزى الفضل الاعظم في ادخال الطباعة الى العراق فقد حل هؤلاء الاجناد اجناد العلم والدين - الموصل الحباء عام ١٨٥٦م وكانت المطبعة اول مشروع وجها الى انظارهم : فباشروا الطبع على الحجر اولاً فطبعوا بضعة كراريس ولم يفلحوا فشمروا عن ساعد الجد واسسوا سنة ١٨٥٩ مطبعة كبيرة بجميع لوازمها مرصدين لها المبالغ الطائلة .

وفي سنة ١٨٦٠ طلب السد هنري اماتون القاصد الرسولي لـ

بين النهرين في أثناء وجوده في باريس الى جمعية مدارس الشرق
ان ترصد لمشروع المطبعة الموصلية الاولى مبلغا وافرا فاستجابت
طلبه ونفحته بـ ٦٠٠٠ فرنك أنفقها في جلب مطبعة وحروف عربية
وسريانية وفرنسية من دار الطباعة العامة في عاصمة فرنسا وجلب
لها حروفا كلدانية من مطبعة المرسلين الانكليكيين في اورمية من
اعمال فارس . ونقلت كل الآلات والادوات والحروف الى
الموصل .

وتولى الاب كيرلس دوفال ادارة المطبعة الجديدة يعاونه
الراهب يوسف الديار بكري المنتمي الى الرهبانية الفرنسية .
وقد تعلم فن الطباعة في القدس فأتى بها الى الموصل واشرف على
تأسيس المطبعة وقام بتعليم احداث الموصل وشبانها فن تنضيد
الحروف .

والمطبعة الموصلية هذه جهزها الابهاء الدومنيكون بفرع هو
سبك الحروف لم يوجد له نظير في العراق الى هذا اليوم (١٩٢٦)
وقد اشتغل الراهب الفرنسي المذكور بتعليم صناعة سبك
الحروف ايضا وطبعها بدقة وجلاء .

رفائيل بطي

(لها تلو)

